

التطوّر والتحول في بناء وإعمار البقيع وفق التقارير التاريخية

د. عمار أبو طالبى^١

ملخص البحث :

تعدّ الدراسة التاريخية للبناء في البقيع و تطور هذا البناء من أهمّ القضايا المتعلقة بالبقيع.

تسعى هذه المقالة إلى تقديم صورة واضحة لهذا الجانب الحضاري من البقيع من خلال دراسة الأوصاف التي قدمت حول البقيع في المصادر التاريخية ومذكرات السفر. يمكن دراسة البناء في البقيع من المنظورين الكمي والنوعي؛ وقد قمنا نحن بالتطرق إلى القسم التطوّر الكمي لهذا البناء. وقد حدث التطوّر الكمي للبقيع في عدّة مراحل بحيث تغيرت المباني في البقيع من بنايات سكنية إلى مرقد وأضرحة.

و ازدادت قباب البقيع من ثلاثة في القرن السادس إلى أربعة عشرة في القرن الحادي عشر.

١ . دكتوراه في دراسات الشيعة.

تظهر الدراسات التاريخية أنّ مسجد فاطمة عليها السلام (بيت الأحران) كان المبنى الوحيد في البقيع الذي بقي مشيداً من القرن الثالث للهجرة و لغاية القرن الرابع عشر بشكل مستمر تقريباً.

الكلمات المفتاحية:

البقيع ، المراقد و المزارات ، قباب البقيع ، بيت الأحران.

في القرن الأول والثاني: إلى جانب تطور البناء في البقيع، إهتم المسلمون بدفن موتاهم في البقيع.

في القرن الثالث: ما زال بعض الأشخاص يقيمون في البقيع وكان مسجد فاطمة عليها السلام أهم مبنى عام في البقيع آنذاك و كما اعتقد ابن شبة ذلك.

في القرن الرابع: لم يقيم في البقيع أحد و المبنى الوحيد القائم آنذاك كان مسجد فاطمة عليها السلام حتى القرن الخامس: بنيت أول المقابر آنذاك.

القرن السادس: ابن مازة في عام ٥٥٢ هـ. ق. أكد وجود ثلاث قبب في البقيع حتى ٢٨ عاماً بعد أن أكد ابن جبير وجود قبّة رابعة باسم (قبة مالك). يذكر ابن مازة مكاناً يدعى: (مسجد فاطمة عليها السلام) و أمّا ابن جبير فأسماه بـ: (بيت الحزن)؛ و أمّا هروي فذكره باسم: (بيت الأحران) و شخصه كمكان دفن فاطمة الزهراء عليها السلام. و ذكرت ملاحظة مهمّة في تقارير هذا القرن بأنّ منزل أمير المؤمنين عليه السلام كان يقع في البقيع.

القرن السابع: في هذا القرن ذكرت قبّة عقيل و فاطمة بنت أسد عليها السلام لأول مرّة إلاّ أنّه لم يرد في أي مصدر من مصادر هذا القرن عن مسجد فاطمة عليها السلام أو بيت الأحران.

القرن الثامن: يعتبر كل من الروضة الفردوسية، والتعريف، وتحقيق النصر، بهجة النفوس والمغانم ضمن أهم المصادر التاريخية. على الرغم من أن الروضة اقتبس بعض مواده من إتحاف الزائر ولكنه يتضمن إضافات جديدة بالاعتبار. وأما التعريف فقد تأثر إلى حد ما من الدرّة الثمينّة. تحقيق النصر و بهجة النفوس إضافة إلى اعتمادهما الكبير على التعريف فأتت كذلك جسداً رؤية من الدرّة الثمينّة. الروضة ذكر مكاناً بعنوان مدفن زوجات النبي ﷺ (وقد ذكر المطري ولأول مرة عن وجود حائط حجري ذو ارتفاع منخفض حول المزار.

كما أبلغ همهم ولأول مرة عن بناء مبني فوق قبر صفية. على الرغم من ذكر بيت الحزن في المغانم إلا أن الأمر من الناحية العملية خاطئ. في هذا القرن كذلك لم يذكر أحد عن مسجد البقيع.

القرن التاسع: وصل الخوارزمي في بداية هذا القرن، وطابق مع ماتم ذكره في التعريف ومما يعني إما في ظرف هذا الزمان لم يحصل أي تغيير في البقيع أو أن محتواه قد نقل مطابقاً لما ذكر من المطري.

النقطة الجديدة الوحيدة التي أضافها الخوارزمي كانت تعريف مزار الصديقة الطاهرة في قبّة أهل البيت عليه السلام وإعلام مدفن فاطمة بنت أسد عليها السلام وست أشخاص من الصحابة بجانب قبر إبراهيم. مقارنة محتوى السخاوي والسمهودي يوضح وفاء الوفاء متأخر عن التحفة. ويعدّ السمهودي من أهم شخصيات هذا القرن والقرون اللاحقة حيث إن كتابه يعدّ مرجعاً ومستنداً للكتب اللاحقة بعده. وهو في هذا الكتاب استفاد من المطري، والمراعي، والفيروزآبادي، ولكنه في الوقت ذاته يعدّ كتابه مملوءاً بالمحتوى الجديد: النفي الصريح للقبّة المنسوبة إلى فاطمة بنت أسد عليها السلام في آخر البقيع، وهو وصف تحديد الموقع الجغرافي لبيت الأحزان بعد أربع قرون.

وهذا الكلام إيضاح نظرية جديدة حول صاحب القبّة بجانب مالك، وتعريف

قبة الأزواج لأول مرة، والإشارة إلى قبة خربة منسوبة إلى أولاد النبي ﷺ لأول مرة والتشكيك في صحّة انتسابها، ونقل وجود أربع أبنية في شرق وغرب بقعة أهل البيت عليه السلام، والتعريف عن وجود بناء في شمال غرب بقعة عثمان، ووصف بيت أمير المؤمنين عليه السلام في البقيع بعد حدود ثلاثة قرون.

القرن العاشر: ابن حجر شكك في صحّة انتساب قبة فاطمة بنت أسد وعقيل والأولى نسبت إلى سعد بن معاذ، والثانية إلى أبي سفيان الحارث. وأيضاً الفرق الوحيد بين ديار بكرى مع الأنصاري، هو تعريف بيت الأحران وغير ذلك، فهما متشابهان في باقي الموارد المذكورة.

و بالمجموع في هذه الحقبة لم تورد أية محتويات جديدة بالاهتمام بالمقارنة مع القرن السابق.

القرن الحادي عشر: في هذا القرن لم يذكر أيّ أحد بيت الأحران. و وصف سيّد كبريت للبقيع مثل وصف ديار البكري مع الاختلاف في أنّه كان أوّل شخص يذكر مسجد أبي بن كعب. نقل العباسي شبه وصف السهمودي مع الاختلاف في أنّه لم يذكر بيت أمير المؤمنين عليه السلام وقد عرف ولأوّل مرّة مكاناً يدعى بمقبرة أبي سعيد الخدري. ونقل الفرشي يتبنى على ثلاث ابتكارات جديدة: ذكر قبة صفية، وبيّن مكاناً يدعى بقبر حليلة (على الرغم من التردد في صحّة ذلك)، وتبين مكان عنوانه: مزار شهداء أحد.

وبعد السهمودي (أواخر القرن التاسع) كان الفرشي أوّل شخص ذكر قبة الأزواج مجدداً. و جدير بالذكر أنّه أشار إلى مسجد أبي بن كعب. في حال أن قول القيسي ليس بجديد، وأمّا العياشي فقله مشابه لقول السهمودي مع الاختلاف في أنّه ذكر مسجد أبي بن كعب بدلاً من منزل أمير المؤمنين عليه السلام وأيضاً ذكر مقبرة حليلة السعدية.

القرن الثاني عشر: وصف البقيع في هذا القرن مشابه للقرن الحادي عشر، ولعل

تشكيك ابن طيب الفاسي في صحّة انتساب بعض البُقَع لأصحابها وأيضاً نظر ورثيلاني بالنسبة إلى ترتيب قبور أهل البيت عليه السلام هو الفرق الوحيد لهذا القرن عمّا سبق .

القرن الثالث عشر والرابع عشر: عدد بُقَع البقيع في هذين القرنين لم يتغير. من القرن الأول إلى القرن الرابع ، وبعض الأشخاص كانوا يسكنون البقيع ويدفنون الأموات وبنون المباني في ذلك الزمان. بالطبع يبدو أنّ من أواسط القرن الثاني وما بعده كان يتمّ فصل محلّ دفن الأموات عن المناطق السكنية. في مدّة القرن الثالث إلى الخامس ، البناية الوحيدة التي تمّ ذكرها هي بقعة مسجد فاطمة عليها السلام.

وبالنتيجة ، البناء والإعمار في البقيع على مرّ تاريخ الإسلام كان يتألف من خمس مراحل .

- في المرحلة الأولى كان البنايات المسكونة تبدل إلى بنايات خاصة لتك و تعظيم المدفونين (من بيّتهم إلى البقعة).

- في المرحلة الثانية تمّ تطوير و توسعة الآثار بشكل كمّي .

- في المرحلة الثالثة تمّ توسعة البنى التحتية لعدد من البنايات .

- في المرحلة الرابعة كان المسلمون يهتمّون على المحافظة على البنايات حيث تمّ على مرّ التاريخ إعمار وإعادة ترميم البنايات في البقيع عدّة مرّات .

- المرحلة الخامسة أيضاً كانت تجميل و تزيين عدّة بقعة من بُقَع البقيع .

و أمّا القبب و المنارات التي بنيت على مرّ الزمن تقسم إلى ثلاث فئات :

الأولى : إنّ انتساب القبر إلى صاحبه أمر قطعي لا شك فيه .

الثاني : القبب التي يشكّك في أصحاب قبورها .

الثالثة : القبب التي لم يذكر التاريخ أصحاب قبورها و تمّ العثور عليها في القرون

الرحالة والمؤرخون قد كتبوا حول المدينة المنورة، ولم يكتبوا القباب والأضرحة وبعض بناء البقيع والحال أن القرائد والشواهد تحكي وجود هذه الأبنية فيها؛ فنشرها على مرّ القرون:

عدد الأبنية والقباب في البقيع على مرّ القرون :

القرن: ٤-٣	٥	٦	٧	٨	٩-١٠	١١-١٢	١٣
القباب: ٠	٣	٥	٧	٧	١٠	١٣	١٤
الأبنية: ١	١	٢	٠	٣	٣	٢	١
المجموع: ١	٤	٧	٧	١٠	١٣	١٥	١٥

والمسلمون قد اهتموا ببناء القباب في البقيع (كما نرى في الجدول) اهتماماً خاصاً في القرن الخامس، وقد أضيف العدد من ثلاثة إلى أربعة عشر عدداً في القرن الثالث عشر.

ولقد بقي البناء الوحيد في البقيع وهو مسجد فاطمة عليها السلام أو بيت الحزن.

جدول توسعة البناء والقبة في البقيع على مرّ القرون

																شهداء مرّة
																شهداء أهد
																أبو عبد الحمدي
																قبة على قبر العلوية
																قبة على قبر أزواج النبي
																قبة على قبر نافع
																قبة على قبر صفيّة
																مسجد أبيّ بن كعب
																قبة على قبر فاطمة أمّ علي
																قبة على قبر عقيل
																أولاد النبي
																قبة على قبر مالك
																قبة على قبر إسماعيل
																قبة على قبر عثمان
																قبة على قبر إبراهيم
																قبة على قبر عائشة
																مسجد فاطمة
																بيت أمير المؤمنين
																المنازل
١	١	٢	٢	٣	٣	٣	٠	٢	١	١	١	كثير	كثير			الأبنية :
١٤	١٤	١٣	١٣	١٠	١٠	٧	٧	٥	٣	٠	٠	٠	٠			القبة :
١٤	١٣	١٣	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١			القرون :

المراجع :

١. آقشهري، محمد بن أحمد بن أمين، ٢٠١٠، الروضة الفردوسية و الحضرة القدسية، تحقيق قاسم السامرائي، لندن - انكليس، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
٢. ابن بطوطه، محمد بن عبد الله، ١٤١٧، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، صححه عبد الهادي التازي، الرباط - المغرب، اكااديمية المملكة المغربية.
٣. ابن جبير، محمد بن احمد، ٢٠٠٨، تذكرة بالأخبار عن اتقافات الأسفار، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر - دار السويدي.
٤. ابن حائك، حسن بن احمد، ١٤٢٥، الإكليل من أخبار اليمن و أنساب حمير، تحقيق محمد بن علي اكوع حوالي، صنعاء، وزارة الثقافة و السياحة.
٥. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، ١٤١٥، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية.
٦. ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبدالعزيز زين السلامة، المدينة المنورة.
٧. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
٨. ابن شبه النميري، عمر، تاريخ المدينة المنورة، صححه فهيم محمد شلتوت، قم، دار الفكر.
٩. ابن عساكر، علي بن حسن، ١٤١٥، تاريخ مدينة دمشق. بيروت، دار الفكر.
١٠. ابن عساكر الدمشقي، عبد الصمد بن عبد الوهاب، بي تا، إتحاف الزائر و أطراف المقيم للسنائر في زيارة النبي ﷺ، تحقيق حسين محمد شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

١١. ابن مازة، محمد بن عمر، لطائف الاذكار، تصحيح رسول جعفریان، تهران، نشر علم.
١٢. ابن نجار، محمد بن محمود بن الحسن، ٢٠٠٦، الدرة الثمينة في اخبار المدينة، تصحيح صلاح الدين بن عباس شكر، مركز بحوث و دراسات المدينه المنوره.
١٣. ابو العباس الحسني، احمد بن ابراهيم، بي تا، المصباح في السيرة، تحقيق عبد الله بن عبد الله الحوثي، يمن.
١٤. ابوطالبي، عمار، ١٣٩٨، واكاوى جاىگاه فرهنگى و تمدنى بقيق، رسالة دكتورا، دانشگاه اديان و مذاهب.
١٥. الاسكندري، نصر بن عبد الرحمن، بي تا، الأمكنة والمياه والجبا و الآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والآثار، رياض، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية.
١٦. افندي باشا، الشيخ عبدالله، ٢٠٠٨، الفتوحات الكوازية الى الاراضي الحجازية، بيروت، الدار العربية للموسوعات.
١٧. الجاسر، حمد، ١٣٩٣، «وصف مكة و وصف المدينة المطيبة و وصف بيت المقدس»، مجلة العرب، شماره ٥ و ٦ و ٨.
١٨. العياشي، إبراهيم بن علي، المدينة بين الماضي والحاضر، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.
١٩. انصاري الجزيري، عبدالقادر بن محمد، ١٣٨٤، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج و طريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية.
٢٠. انصاري، حسن، «ابن نجار، ابو عبدالله»، در: دانشنامه بزرگ اسلامى (ج ٥، ص ١٨٥٤). تهران، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى.

٢١. ايوب صبري پاشا، مرآت الحرمين، قسطنطينيه، بحرية.
٢٢. برتون، ريجارد ف، بي تا، رحلة بيرتون الي مصر و الحجاز، تحقيق عبدالرحمن عبدالله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. بلوي، خالد بن عيسي، بي تا، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق حسن السائح، محقق، مغرب، صندوق احياء التراث الاسلامي.
٢٤. بوركهارت، جون لوئيس، ٢٠٠٧، ترحال في الجزيرة العربية، ترجمه صبري محمد حسن و عرب محمد صابر، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
٢٥. بيهقي، احمد بن حسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٦. تقوي قزويني، سيد محمد، سفرنامه عتبات هند و حج، تصحيح محمد علي باقرزاده، تهران، مشعر.
٢٧. حسكاني، عبيدالله بن عبدالله. بي تا، شواهد التنزيل لقواعد التفضي، تهران، وزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع و النشر.
٢٨. حسيني مدني، محمد كبريت، ١٤١٧، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٩. حضيكي، احمد بن محمد، ١٤٣٢، الرحلة الحجازية، تحقيق عبدالعالي المدبر، الرباط، مركز الدراسات و الابحاث و إحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء.
٣٠. خامه يار، احمد، بررسى و مقايسه دو متن كهن متعلق به مغرب اسلامى در توصيف حرمين.
٣١. خوارزمي، محمد بن اسحاق، بي تا، إثارة التريغيب و التشويق إلى المساجد الثلاثة و البيت العتيق، مكه مكرمه - عربستان، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٣٢. دياربكري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت، دارصادر.

٣٣. سخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ٢٠٠٩، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المدينة المنورة، مركز بحو و دراسات المدينة المنورة.

٣٤. السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله، ٢٠٠١، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

٣٥. شرقي الفاسي، ابي عبدالله محمد بن الطيب، ٢٠١٤، الرحلة الحجازية، تحقيق نور الدين شوبد، محقق، ابو ظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.

٣٦. صادق پاشا، محمد، مشعل المحمل، تحقيق محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر و التوزيع.

٣٧. العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الاخبار في مدينة المختار، صححه محمد طيب الانصاري، المدينة المنورة، أسعد درابزوني الحسيني.

٣٨. عبد الجليل قزويني، عبد الجليل بن ابو الحسين، ١٣٥٨، نقض معروف به بعض مثالب النواصب في نقض (بعض فضايح الروافض)، تهران، انجمن آثار ملی.

٣٩. العبدري، محمد بن محمد، ١٤١٩، رحلة العبدري، تحقيق علي ابراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين للطباعة و النشر.

٤٠. علي حسين بن خيرات علي، ١٣٨٩، منازل قمريه در سوانح سفره، تهران، نشر علم.

٤١. عياشي، عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية، صححه سعيد الفاضلي، أبو ظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.

٤٢. غزالي، ابو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتاب العربي.

٤٣. الفرشي، ١٣٩٥، ذراع مدينه. قم، نشر مؤرخ.
٤٤. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ٢٠٠٢، المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.
٤٥. قشقاوي، اياز خان، ١٣٨٨، سفرنامه حج، تصحيح پرويز شاكري، تهران، كتابخانه موزه و مركز اسناد مجلس شوراي اسلامي.
٤٦. القيسي، ابي عبدالله محمد بن احمد، ١٩٦٨، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، صححه محمد الفاسي، فاس.
٤٧. الكاتب، عماد الدين، ١٤٢٥، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق يحيى مراد، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
٤٨. كرناتكي، حافظ محمد عبدالحسين، ١٣٨٩، تذكرة الطريق، صححه رسول جعفريان، تهران، نشر علم.
٤٩. كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ابراهيم، ٢٠١٢، معالم المدينة المنورة بين العدة والتاريخ الجزء الخامس، المدينة المنورة، شركة سروات للطباعة والنشر.
٥٠. كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، معالم المدينة المنورة بين العدة والتاريخ الجزء الثالث، تاريخ و عمارة الحصو و الآطام، بيروت، دار و مكتبة الهلال.
٥١. المحلى، حميد بن أحمد، الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، صححه مرتضى بن زيد محطوري، صنعا - يمن، مكتبة بدر.
٥٢. المراغي، زين الدي - أبي بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق ابو يعقوب نشأت كمال، فيوم - مصر، دار الفلاح للبحث العلمى و تحقيق التراث.

٥٣. المرجاني، عبدالله بن عبدالمملك، بهجة النفوس و الأسرار في تاريخ دارالهجرة النبي المختار، تحقيق: محمد عبدالوهاب فضل، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
٥٤. المستوفي، حمد الله بن أبي بكر، تاريخ كزيده، تحقيق عبدالحسين نوايى، تهران، مؤسسه انتشارات أمير كبير.
٥٥. المطري، جما الدين محمد بن احمد، التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة، سليمان الرحيلي، الرياض، داره الملك عبدالعزيز.
٥٦. مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري أبو عبدالله، علاء الدين، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن محمد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
٥٧. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
٥٨. مكناسي، محمد بن عبدالوهاب، رحلة المكناسي، صححه محمد بوكبوط، أبوظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.
٥٩. النابلسي، عبدالغني، الحقيقة و المجاز في رحلة بلاد الشام و مصر الحجاز، صححه رياض عبدالحميد مراد، دار المعرفة.
٦٠. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي.
٦١. ورثيلاني، حسين بن محمد، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
٦٢. هروي، علي بن أبو بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

٦٣. الهيثمي، أحمد بن حجر، الجوهر المنظم في زيارة قبر الشريف النبوي المكرم، بيروت، دار الحاوي.
